

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي بتيسمسيلت



العدد: 01 - جوان 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت - الجزائر

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية، الإنجليزية.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الأستاذ: مرسي رشيد

المركز الجامعي: تيسمسيلت - الجزائر -

الهاتف/الفاكس: 046/47/56/18

البريد الإلكتروني: Rachidmersi@yahoo.fr

المعيار

مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية، العلمية، الأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.

- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتبسمسيلت.
- تقبل البحوث باللغات العربية والفرنسية والانجليزية.
- تخضع البحوث والدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث والدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس (24/17) بهامش 2.5 سنتيم عن يمين الصفحة ويسارها وأسفلها وهامش 2.00 سنتيم عن أعلى الصفحة.
- تتم الكتابة بخط (Traditional Arabic) حجم (16)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (14).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يستعمل فيها التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث في قرص مضغوط ونسخة ورقية مطبوعة.
- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحة ولا تتجاوز 20 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُرَدُّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، والمجلة غير مسؤولة عن أراءك وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية وفنية.

المدير المسؤول عن النشر

الكلمة الافتتاحية

يعرف العالم الطبيعي الواسع، تقلصا في الامتداد إذ أصبح العالم قرية كونية، وبالمقابل اتسع الفضاء المعرفي وانتشر سعيا وراء معرفة أسرار الكون، أسرار تطلبت من العقل البشري حمدا مضنيا لاستقراء تستجليه الملاحظة، وما يخضع للتجربة المخبرية، ليزداد قربا من الخصائص المميزة للكائنات الحية وغير الحية، بل دفعه الفضول إلى تجاوز فضائه الطبيعي إلى عوالم كان التفكير فيها ضربا من المستحيلات، ونزل على سطح القمر، وما زال يدرس إمكانية الحياة على سطح المريخ، ويزداد حقل البحث امتدادا في فضاء لا نهاية له، ولعل مدلول الآية الكريمة: " يا معشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان " دعوة صريحة إلى خليفته في الأرض، لاكتشاف ذاته من خلال الوقوف على حقائق الأشياء وقيمتها أثرها، وخطورة انعكاساتها، وتجلت دوافع البحث في نوع الاهتمامات التي شغلت لسان، من أكثرها تجريدا، إلى أدقها برهانا، ويبقى الحضور الإنساني يشكل الحلقة الأرهف في هذا العالم الذي أصبح مسرح للعوالم.

لا شك أن واقع التغيرات المتسارعة، وما أفرزته من مواقف جعلت مهمة الباحث معقدة باعتباره مسؤولا عن تشكيل رأس المال البشري النوعي، واستمالة اهتمام المتلقي حول الموضوعات التي تنمي الطاقة المبدعة فيه، ويسهم في - الوقت ذاته - في ترقية المجتمع وتماسكه.

أثار هذا الهاجس إرادتنا لإنجاز مجلة المعيار لتكون منبرا معرفيا، وإبداعيا، وفكريا، لكل بحث يرقى مضمونه إلى نيل درجة النشر، ليكون إسهاما إضافيا في الحقول المعرفية، ويلبي حاجة الدارس والقارئ من خلال البحوث التي تحتويها المجلة.

لا يفوتني في هذه الافتتاحية أن أشيد بجهد الفريق الذي سهر على إنجاز "المعيار" في هذا الثوب القشيب، الذي يدرك قيمته ذوقا وحسا، ونعد الباحثين والقراء أن "المعيار" سوف تضرب لهم موعدا، مع بحوث أكثر تنوعا وأكثر عمقا.

د. الطيب بن جامعة

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية

رئيس المجلة: د . بن جامعة الطيب
مديرالمركزالجامعي تيسمسيلت
المديرالمسؤول عن النشر: د . بلحسين محمد
مدير مساعد مكلف بالدراسات

رئيس الهيئة: أ . دردار بشير
رئيس التحرير: أ . مرسي رشيد

هيئة التحرير:
أ . تواتي خالد
أ . روشوخالد
أ . يعقوبي قديوية
أ . دايري مسكين
أ . بلخياطي الحاج لونيس
أ . لعقاب الجليلي

الهيئة العلمية:
أ.د محمد عباس - جامعة تلمسان -
أ.د مختار حبار - جامعة وهران -
أ.د عبد الجليل مرتاض - جامعة تلمسان - أ.د راجحي عبد القادر - جامعة سعيدة -
أ.د محمد بلوحي - جامعة بلعباس - د.كبريت علي المركز الجامعي - تيسمسيلت -
د . بوسماحة الشيخ - جامعة - تيارت -
أ.د شريط عابد - جامعة - تيارت -

مقالات اللغة والأدب العربي

- * تظاهرات الكاف الموصوفة في قصيدة (كفك دالية الوقت) للشاعر الطيب طهوري:
- الأستاذ عبدالقادر راجحي ص 08
- * موسوعة المعيار للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي:
- الأستاذ محمد بناني ص 21
- * النقد الأسطوري بين التأصيل الغربي والمحاولات العربية:
- الأستاذ مرسي رشيد ص 33
- * مدرسة كوستانس وتجربة التلقي بين الفهم والتأويل:
- الأستاذ هواري بلقندوز ص 49
- * بيانات التفسير في الاتجاه العقلي:
- الدكتور غانم حنجر ص 64
- * الوقت والابتداء واثرها في المعنى:
- الأستاذ بن فريجة الجيلالي ص 74
- * الرافي وميلاد لغة جديدة:
- الدكتور بلحسين محمد ص 89
- * التأويل وفك خداع اللغة:
- الأستاذة بولحية صبرينة ص 98
- * الخط الروائي والنقد السيميائي في الجزائر:
- الأستاذ الدكتور عقاق فادة ص 104
- * شعرية الانزياح في التراث العربي بين حضور المعنى وغياب المصطلح:
- الدكتور أحمد بوزيان ص 112

*الاقتصاد اللغوي وفاعلية الإتصال:

-الأستاذ غربي بكاي ص 129

مقالات العلوم القانونية والإدارية

* أثر الدلالات الاصولية في تفسير النصوص القانونية:

-الأستاذ محمد عشاب ص 142

* مركز أسرى الحرب في الاديان السماوية:

-الأستاذ روشوخالد ص 155

مقالات العلوم الإقتصادية والتجارية

* الاطار العام للأداء والعوامل المرتبطة به:

-الأستاذ العيداني إلياس ص 166

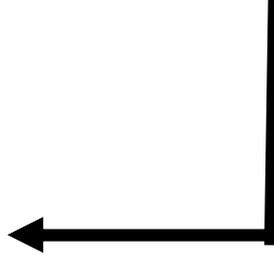
* المعايير البيئية في اطار المنظمة العالمية للتجارة بين الحماية التجارية وتحقيق التنمية المستدامة:

-لأستاذ ضويفي حمزة ص 183

* حوكمة المؤسسات في الجزائر:

-الأستاذ عمرعلي عبد الصمد ص 198

الاقتصاد اللغوي وفعالية الاتصال



الأستاذ: غري بكاي
معهد اللغات والآداب
المركز الجامعي - تيسمسيلت -

تمهيد:

تعتبر اللغة وسيلة ضرورية للتفاهم بين البشر، وأداة تواصل وتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم وتبليغ أفكارهم إلى غيرهم من بني جنسهم.

وتعدّ اللغة العربية لغة اقتصادية وذلك لعدة عوامل: اشتغالها على وسائل وآليات الاقتصاد كالحذف والمجاز، وتوزيع الحروف على طول الجهاز الصوتي، وثوراتها بالألفاظ والمفردات يجعلها أكثر اقتصادا، وما على المرسل إلا اختيار المفردة المناسبة للمعنى الذي يريد، لتصل الرسالة بكل وضوح، وبالتالي تحقيق مبدأ الجهد الأقل بالنسبة للمرسل والمستمع إليه، وتميزها بخاصية التفصيل المزدوج الذي يتيح للإنسان من خلال استعماله للغة أن يعبر عن آلاف المعاني المتنوعة بواسطة الوحدات الصوتية **Les phonemes** التي لا يتجاوز عددها الثمانين بالنسبة لكل لغة على حدة، وهذه الوحدات ليس لها أي دلالة في ذاتها بيد أنها قادرة على تغيير الدلالات، وخاصة التفصيل المزدوج تشترك فيها جميع اللغات.

مفهوم الاقتصاد اللغوي:

لمصطلح الاقتصاد عدة تعاريف اتفقت في مضامينها واختلفت في ظاهرها، فابن الأثير الجزري خصص بابا في المثل السائر سماه: "في الاقتصاد والتفريط والإفراط" يقول فيه: أعلم أن هذه المعاني الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والإفراط توجد في كل شيء من علم وصناعة وخلق، ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة¹.

وحتى يفرّق بين المفاهيم الثلاثة ذهب إلى تعريفها، فعرف التفريط بأنه "التقصير والتضييع"، والإفراط هو الإسراف وتجاوز الحد، يقال أفرط في الشيء إذا أسرف وتجاوز الحد²، ثم عرف الاقتصاد بقوله: "الاقتصاد هو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي يميل إلى أحد الطرفين".

ويقصد بالطرفين هنا الإفراط والتفريط، وينطلق في تعريفه هذا من قوله تعالينا³: "م ظالم" بالخيرات طرفان، والاقتصاد وسط بينهما ويرى أن هذه المعاني نقلت إلى علم البيان، وعلي ذلك فاققتصاد اللغة هو أن يكون المعنى المضمّر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر في منزلته⁴ ويقصد بالمعنى المضمّر في العبارة القول أو الكلام يكون موافقا للمقام الذي هو فيه في منزلته أي بحسبه من غير زيادة ولا نقصان كما يرى أن التفريط في المعاني الخطائية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والإفراط يجوز استعماله، فنه الحسن ومنه دون ذلك، ومما جاء في التفريط قول الأعشى⁵:

مَزْمِنٌ خَلِيجُ الشَّرَاتِ جَوْنٌ عَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ

بِأَجْرٍ وَمِنْهُ بِمَاعُونِهِ ^٨ * ذَا سَمَاءٍ أَوْ هُمْ لَمْ تَعْمُرْ .
 فإنه مدح ملكا بالجوّد بمعاونه، والماعون كل ما يستعار من قدوم أو قسعة أو قدر أو ما أشبه ذلك،
 ومن أمثلة التفريط كذلك قول الفرزدق ^٩ :

أَلَا لَيْتُنَا كُنَّا بِعَيْرٍ يَنْ عَلَى حَاتِضٍ ^{١٠} * أَلَا نَسْدَلُ وَنُحْدَفُ
 كِلَانَا عَرٌّ يَخْتَلِقُ الدَّاهِيَةَ أَفْطَلِي ^{١١} * الْمَسَاعِرِ أَخْشَفُ

هذا رجل ذهب عقله حين نظم هذين البيتين فإن مراده منها التغزل بمحبوبه وقد قصر تمنيه على أن
 يكون هو ومحبوبه كبعيرين أجريين لا يقرها أحد، ولا يقربان أحدا إلا طردهما وهذا من الأماني
 السخيفة .

والأمثلة كثيرة لا تحصى إذ كل ما خرج عن الطرفين من الإفراط والتفريط فهو اقتصاد ومن

أحسنه أن يجعل الإفراط مثلا ثم يستثني فيه بلو، أو يكاد وما جرى مجراها، فمن ذلك قوله تعالى:

كَأَنَّ دُرِّيًّا يَقُولُ يَخْتَلِفُ أَبْصَارَهُمْ ^{١٢} .

وَكُلُّوا لِقَوْلِهَا عَمَّ يُوحِى اللَّهُ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكْفُرُونَ عَلَيْهِ لِيَدَّ ^{١٣} .

ومما ورد في الاقتصاد شعرا قول الفرزدق ^{١٤} :

يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عَرٌّ كَقَوْلِ الرَّطْحِيَّةِ ^{١٥} * ذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ .

ويمكن تمثيل ما ذهب إليه ابن الأثير بالجدول التالي:

التفريط	الاقتصاد	الإفراط
هوالتقصير والتضييع في المعنى المعبر دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه، والدلالة مبهمة الوضوح وناقصة، وهو غير جائز.	في الكلام ودلالته الوسطية والاعتدال من خلال موافقة المعنى المعبر عنه فوق ما مقتضيه منزلة المعبر عنه، والدلالة صريحة واضحة، وهو جائز.	وهو الإسراف وتجاوز الحد في المعنى المعبر عنه، والدلالة مبهمة الوضوح وناقصة، وهو غير جائز.

وحذا ابن القيم الجوزية^(*) حذوا بن الأثير في تعريفه للاقتصاد، كما نجد يحيى بن حمزة العلوي يعرفه بقوله: "والاقتصاد معناه أن يكون المدرج تحت العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه مساويا له، من غير زيادة فيكون إفراطا ولا نقصانا فيكون تفريطا"¹¹.

ويرى (ابن حمزة العلوي) أن القرآن وارد على طريقة الاعتدال والتوسط في المدح ومن أمثلته على هذا قولاً قد تعالفاً فدلح المؤمنون الذي فيهم صلاتهم خاشعاً لله الذين هم عن اللغو والضيقون هم المزكاة قائلون¹².

وقول المصطفى -صلى الله عليه وسلم- "ألي وأقر بكم مجاليس يوم القيامة؟ الموطؤون أحاسنكم الذ أخلا يأمون ويؤلفون، ألا أحدنكم بأبغضكم أبغضكم مني" مجالس يوم القيامة الثراء رؤون المتفهمون¹³.

ويرى ميشال زكريا أن مفهوم الاقتصاد اللغوي لا يعني في المجال الألسني تقليل المصاريف وإنما مفاده التنظيم الاقتصادي للمصاريف في الطاقة اللازمة لإتمام عملية التواصل¹⁴.

كما يعرفه مبارك المبارك بأنه: "ميل اللغة إلى توفير الجهد عن طريق الاختصار أو الحذف أو التعديل في مخارج الحروف، ومن ذلك إسقاط علامات الإعراب"¹⁵.

ويذهب عبد الرحمن الحاج صالح إلى أن الاقتصاد اللغوي "نعني به ذلك التوازن الذي ينتج بين قوتين متدافعتين، ميل المتكلم بطبعه إلى الاقتصاد في تأديته العفوية لكلامه واحتياج المخاطب إلى البيان أي: أن يكون الخطاب الموجه إليه واضحاً ويحصل التوازن حين يكون مردود الكلام مساويا للمجهود الفزيولوجي المبذول لتحقيقه"¹⁶.

وحتى نعرف كيف ينطبق هذا المبدأ (الاقتصاد) على اللغة العربية يرى الحاج صالح أنه لا بد من الرجوع إلى ما قاله علماءنا في شأن الأصوات والحروف، وتناورها ثم الاعتماد على التجارب العلمية في المخابر الصوتية الحديثة.

ويرى الأستاذ ابن عزوز زبدة أن الاقتصاد اللغوي هو "الأيند المتكلم مجهوداً عضلياً أو ذهنياً يزيد على كمية الفائدة التي من أجلها تصاغ المادة الأصلية حتى يتحقق التوازن بين المجهود والمردود"¹⁷.

فمن خلال هذه التعاريف مجتمعة، يتضح أن مفهوم الاقتصاد في اللغة هو ما تساوته ألفاظه مع معانيه، من غير زيادة ولا نقصان، فإذا كانت بحوزتنا سبعة معان فإننا بحاجة إلى سبعة ألفاظ، وهذا ما يسمى في البلاغة العربية بالمساواة وإيجاز التقدير¹⁸.

والمتمعن في هذه التعاريف يجدها مستوحاة من المعنى اللغوي للفظة الفصد، جاء في لسان العرب لابن منظور: "والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير

وللاقتصاد دور في تنظيم السلوك اللغوي لمرسل أو المخاطب، بحيث أن ما نوقره من طاقة وجمد في مكان معين نستغله في مكان آخر وذلك لأن اللغة الإنسانية في كل لحظة من الزمن لا توفر إلا الطاقة التعبيرية اللازمة للوفاء بالاحتياجات الاتصالية لجماعتها اللغوية¹⁹.

المصطلحات العربية المرادفة لمفهوم الاقتصاد اللغوي:

من خلال التعريفات السابقة لمفهوم الاقتصاد اللغوي نجده يحمل نفس المعنى مع البلاغة التقدير والمساواة، فالبلاغة هي: "الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل"²⁰. فإذا أوجز المتكلم ولم يكن ذلك عن عجز منه، وأطنب في موضع آخر ولم يزد عن المطلوب فهو يبلغ مادام أنه بلغ رسالته وجرى بكلامه المقامات.

وإيجاز التقدير: "هو ما سوى لفظه معناه"²¹.

ومن الأمثلة التي ساقها ابن الأثير حول هذا الضرب من الأساليب قول علي بن جبيلة:

وما لامرئ حاولته عنك مهرب** ولوحلته في السماء المطالع

بلى هارب ما يهتدي لمكانه ظلام** ولا ضوء في الصبح ساطع

فهذا الكلام الذي ألفاظه مساوية لمعانيه فإنه قد اشتمل على مدح رجل بشمول ملكه وعموم سلطانه، وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وإن صعد السماء، ثم ذكر جميع المهارب في المشارق والمغرب، وأشار إلى أنه يبلغ الظلام والضياء، وذلك ما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه. والمساواة هي أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذا من البلاغة التي وصف بها الوصف بعض البلغاء فقال: كأن ألفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك"²².

ومن الأمثلة على ذلك وقوله منقطع: "ورّات" في الحية أم"²³.

وقول زهير بن أبي سلمى:

ومها تكن لامرئ عند خليقة* وإن خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة بن العبد"²⁵.

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا* ويأتيك بالأخبار ما لم تزود

فمن خلال هذه التعاريف والأمثلة لإيجاز التقدير والمساواة يتضح أن مفهوم الاقتصاد اللغوي كان موجودا في البلاغة العربية بالأسماء المذكورة سابقا، إلا أنه لم يكن متداولاً، وما يبين ذلك هو أننا لم نعثر في كتب البلاغة العربية على هذا المصطلح إلا عند فئة قليلة من العلماء أمثال ابن الأثير الجزري في المثل السائر.

وعدم تداوله لا يدل على أنه لم يكن معروفا، بل كان حاضرا في أذهان علماء العربية " وكان العربي في التواصل والخطاب على وعي للمرامي الاقتصادية ينزع إليها ويدرك وظائفها الواقعية، وخدمتها لتخفيف الجهد والمعاناة لاسيما التراكم التي يكثر استعمالها في التعبير "26".

والمتمعن في البلاغة العربية يجد وبشكل واضح ما يبين سبل الاتصال، وما يحث على الاقتصاد في اللغة قدر الإمكان، وهو ما يدل على فكر ثاقب ووعي تام بأحوال الكلام وظروف الاتصال، ويتضح ذلك جيدا من صحيفة بشر بن المعتمر لما مرّ بإبراهيم بن جبلة بن مخزومة السكوني الخطيب، وهو يعلم " فتيانهم الخطابة فقال: "فكن في ثلاث منازل فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفًا وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال "27".

يمثل هذا النص لفتاة طيبة من بشر، وصيحة فريدة من نوعها في تاريخ البلاغة العربية تُثم عن وعي تام بوزن عميق منه بالاتصال وظروفه وأطرافه، فبعد أن بين " ما يجب أن يكون عليه اللفظ من رشاقة وعذوبة وفخامة، وكيف يكون المعنى واضحا معروفا، والطريق الذي يسلكه المرسل في حال اختلاف الظروف بين الخاصة والعامة، بين " أن المعنى لا يكتب له الشرف باعتباره من معاني الخاصة، ولا يكون وضيعا إذا كان من معاني العامة وإنما مدار الشرف، الذي تقوم من أجله العملة التواصلية هو صواب الخطاب وإفادته للسامعين، وموافقته للحال، وإعطاء كل مقام ما يناسبه من مقال، والكلام إذا كان صوابا ونافعا مناسبا للظرف الذي هو فيه أدى مقصوده بأقل ما يكون من جهد، والمقام هو المؤشر أي هومن يحدد كيفية المقال، فمن المقامات ما يحتاج إلى إشارة ومنه ما نكتفي فيه بالجملة والجملتين، ومنه ما هودون ذلك أو أكثر.

وتكثيف المقال بحسب المقام هو الاقتصاد بعينه، وهل للاقتصاد معنى غير الترتيب والتنظيم الجيد للمصاريف وفق الظروف، وإعطاء كل مقام حقه من المقال دون زيادة أو نقصان.

الاقتصاد اللغوي عند علماء اللسانيات الغربيين:

يرى جورج موان أن مفهوم الاقتصاد " لا يمكن أن تقتصره على معنى الاختصار فكلمة اقتصاد تشمل كل شيء إلغاء الفروق الغير المفيدة، ظهور فروق جديدة والمحافظة على الأمر الواقع، والاقتصاد اللغوي هو مجموع القوى الحاضرة "28".

كما يرى فلوريال كولماس أن " علم الاقتصاد هو البحث عن مؤشرات أمثلية الكفاءة لعلاقات الوسائل - الغايات في أداء المهام "29".

ومبدأ الاقتصاد "هوي الحقيقة تطبيق لقانون الجهد الأقل، ففي تطور واستعمال اللغة بحث دائم في التوازن بين الاحتياجات الشرطية والاحتياجات التواصلية من جهة، والتذكر الذهني والجهد العضلي من جهة أخرى" ³⁰.

أندري مارتيني والاقتصاد اللغوي في ظل الصراع القائم بين حاجات التواصل التي تميل إلى الحركة والتطور، هناك نزعة لدى الإنسان ترغب في التقليل من نشاطه العقلي والفيزيائي، وإذا كان هذا الاختلاف حاصلًا بين الحركة والسكون كيف يمكن التوفيق بينهما؟ وللجواب عن هذا السؤال يقول مارتيني: "وفي هذا المجال يخضع سلوك الإنسان إلى قانون أضعف الجهد الذي لا يجهد الفرد نفسه وفقه إلا بالقدر الذي يمكن أن يبلغ فيه الأهداف التي ارتسمها لنفسه" ³¹.

ولكي يتحقق الاقتصاد في لغة التواصل حسب رأيه يجب "تقليص كل تمييز غير مفيد" ³² لأن عملية التكلم والنطق ليست بالسهولة التي يعتقدونها البعض، فتكلم أي لغة وفي مطلق الأحوال عند قيامه بالتلفظ فإنه يبذل جهدًا معينًا إلا أن هذا الأخير يبدولصاحبه غير ذي بال، أي وكأنه لم يبذل شيئًا، ولكي يظهر مقدار هذا الجهد وقيمته أثناء عملية تواصل ما نكتفي إلى الإشارة إلى مدى الصعوبة التي يعانها الإنسان في النطق عندما يكون متعبًا جدًا، وهذا ما يكشف حتى لا أكثر الناس ثرثرة أن اختيار اللفظ الصحيح والمناسب يضاعف الإحساس بالتعب بكيفية جد ملحوظة" ³³.

وهناك مفهوم آخر عند مارتيني له أهميته في اقتصاد اللغة، وهو ما يسميه بالتقطيع المزدوج *double articulation* ففيم تكمن هذه الأهمية؟

أثر التقطيع المزدوج في اقتصاد اللغة:

يعتبر مارتيني أن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل في إطار المجتمع الذي تنتمي إليه وهذه الوظيفة خاصة بمختلف اللغات البشرية على اختلافها بالرغم من تباينها في البنى والتراكيب. واللغة مؤسسة إنسانية واقتصادية، وهي الوسيلة التي تتيح للإنسان بصورة أساسية القيام بعملية التواصل بينه وبين أفراد مجتمعه، كما أن التقطيع المزدوج يوجد في جميع اللغات البشرية باعتباره التقطيع الذي يتفق وحاجات الإنسان، وهو ينقسم إلى مستويين: تقطيع أولي، وتقطيع ثانوي.

1- التقطيع الأول للغة:

هو الذي يقوم على أن كل ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية نريد تبليغها أوكل حاجة من حوائجنا نود تعريف غيرنا بها تحلل إلى متواليات من الوحدات لكل منها صورة صوتية ومعنى" ³⁴.
فلوأن إنسانا شهد بالكذب نقول: هذه شهادة زور، فكل وحدة من هذه الوحدات يمكنها أن توجد في سياق آخر مغاير لتبليغ ظواهر أخرى من التجربة البشرية "فالشهادة: خبر قطع، وأشهد

بكذا: أي أحلف، والمشاهدة: المعاينة، وشهد الحادث: حضره، واستشهده: سأله أن يشهد، والشهيد: القتل في سبيل الله، والشهد: العسل³⁵ فنفهم من هذا أن الألفاظ تنتمي إلى قائمة مفتوحة من السياقات، فاللفظ واحد لكن يتغير معناه إذا ما وضعناه في سياق آخر، وأضفنا له حرفاً أو حذفنا أو غيرنا حركاته.

وهذا التقطيع يعطينا زيادة في الاقتصاد، وذلك لأنه يجعل صيغة الدال مستقلة عن قيمة المدلول المقابل له، مما يوفر للصيغة اللغوية قدراً أكبر من الاستقرار، كما أن آلاف الوحدات مثل كلمات: شهد، والزور³⁶ قابلة لسعة التأليف فباستخدامها في سياقات مختلفة نتمكن من تبليغ عدد من المعاني أكبر مما تمكننا منه ملايين الصرخات المختلفة وغير القابلة للتقطيع³⁶.

أما التقطيع الثاني:

ففيه يمكن للوحدات أن تنقطع بدورها في مستوى ثانٍ إلى سلسلة من الوحدات الدنيا المتتابعة والمجردة من كل دلالة، إلا أنها مميزة وتسمى هذه الوحدات بـ: *Les phonèmes* فلوأتينا بهذه الصورة الصوتية: "رأس" مثلاً هي قابلة للتحليل إلى متواليات من الوحدات *ر/أ/س*، وتساهم كل واحد في تمييز رأس عن وحدات أخرى كـ: فاس، ناس، ساس... الخ.

ويمكن الاقتصاد اللغوي في التقطيع الثاني في أنه يمكن للألسن أن تكتفي بوضع عشرات من إنتاجات صوتية متميزة تؤلف بينها في علاقات تركيبية *syntagmatique* لنحصل على صور صوتية لوحدات التقطيع الأول كما أنه بإمكاننا توظيفها في علاقات استبدالية *paradigmatique* لأنه "لواعتمدت اللغة صوتاً لغوياً خاصاً بكل وحدة صوتية ذات دلالة معينة لوجب عليها احتواء آلاف الأصوات المتمايزة وهذا ما لا يتوافق مع القدرات النطقية ولا مع حاسة السمع للكائنات البشرية"³⁷.

وجدير بالذكر أن هذه الخاصية التي يسميها مارتيني بالتقطيع المزدوج خاصة بالكلام البشري دون غيره من لغات الكائنات الحية، كما يشير أيضاً إلى أن هذه الميزة قد فرضت نفسها على المجموعات البشرية كونها تتوافق وحاجات الإنسان وإمكاناته. ولولا الاقتصاد اللغوي الذي يوفر لنا التقطيعين لما كان بالإمكان الحصول على أداة للتفاهم قابلة للاستعمال العام، وقادرة على إيصال قدر كبير من المعلومات بجهد زهيد.

كما يرى مارتيني أن مبدأ الاقتصاد اللغوي يتم على مستوى التقطيع الثاني بشكل أكثر وضوحاً، إذ يقول: "الميزة الواضحة للبناء الثاني هي الاقتصاد"³⁸.

فمن خلال كل هذا يبدو حقيقة أن مبدأ التقطيع المزدوج هو مبدأ اقتصادي بحيث يجعل العملية التواصلية تتم بواسطة عدد محدود من الفونيمات، والمونيمات، والتي تتحد فيما بينها مشكلة لنا عدداً لا نهائياً من العبارات والجمل.

وهذا ما تحدث عنه الخليل بن أحمد قبل قرون إلا أنه لم يستخدم هذه المصطلحات اللسانية الحديثة، وإنما أشار إلى أنه يمكن الحصول على عدد كبير من الكلمات عن طريق التقلبات الستة لحروف الكلمة الواحدة مثل: وجد نستخرج أو نتحصل بتقليب حروفها على: دوج، جود، جدو، دوج، دجو.

يعتبر الاقتصاد اللغوي ظاهرة ذات علاقة وثيقة بالعملية التواصلية لدى البشر وذلك لأنّ التواصل الدائم والمستمر، والمتنوع بين كل فئات المجتمع الواحد والمجتمعات المختلفة اللغات والثقافات، يتم بواسطة اللغة التي تعتبر ضرورة اجتماعية، لا تقوم الحياة بدونها والحوار أو الخطاب الذي يجري بين البشر غالباً ما يتسم ويتلون بصغات أسلوبية ذات ملامح اقتصادية.

وهذا يعود لعوامل متعددة، ومختلفة منها العوامل الذاتية أو الشخصية لأطراف العملية التواصلية، ومنها الظروف التي تحيط بهؤلاء (المُرسل والمرسل إليه) والتي تقتضي الاتصال بالأهم والأفيد، كحالات المرض والتعب، وأرتفاع سعر التكلفة، "ولا يُعدُّ ذلك منقصة في اللغة التي تلجأ إليه، وإنما أمر محمود حين لا يكون هناك لبس أو إبهام".³⁹

أهمية الاقتصاد في اللغة والاتصال :

تظهر أهمية الاقتصاد اللغوي في حقل اللغة والاتصال كونه يهتم بالتنظيم والترتيب الجيد للمصاريق، فهو يخدم اللغة لأنه "متصل بالكلام الذي هو حركة ونشاط، واللغة نظام وقواعد لهذه الحركة والنشاط"⁴⁰.

والمتكلم في تواصله مع غيره لا يستخدم من الطاقة إلا ما يكفيه في ذلك "لأنّ" اقتصاد اللغة هو نتيجة للحاجة إلى الاقتصاد في الكلام⁴¹، فهولها بمثابة الروح للجسد، وحاله أشبه ما يكون بجهاز توازن داخلي فيها، فإذا ما احتاجتكم إلى تواصل مع غيره، فإنه يرجع أولاً إلى قاموسه اللغوي الذي يختار منه ما يناسب موضوعه ليُعبّر عن المعنى المقصود حسب المقام أو الظرف الذي هو فيه.

وسياق الحال كما ذكرت سابقاً المؤشر الوحيد لاحتياجات الخطاب فهناك من المواقف ما يحتاج فيه إلى جملة، وهناك ما تعنى فيه الكلمة، وموقف آخر ربما تكفي فيه لمحة أو إشارة، والمتمعن في كلام العرب يجدهم قد استخدموا بعض الصيغ أكثر من بعض فهم استخدموا الفعل الثلاثي أكثر من الرُّباعي، وأهملوا الخماسي ثُورا من الاستئثال وكهوا استعمال الثنائي الذي تقاربت حُرُوفهم مثل: وطسّ - وطثّ... الخ

ويرى ابن جني أنّ أصول الصيغ ثلاثة: ثلاثي، رباعي، خماسي، والثلاثي أكثرها استعمالاً وأعدلها تركيباً، ويُعلّل كثرة الثلاثي وشيوعه بقوله: "وذلك لأنه حرف يبدأ به وحرف يحُشى به، وحرف يُوقف عليه"⁽⁴²⁾ وهذا ما يجعلنا نقول إنّ نسبة ترداد الألفاظ والكلمات موقوف على أنواع

وطبيعة الحروف المكونة لها، وذلك لأنها المادة الأساسية التي تستعمل في هندسة الكلام وتركيبه، فالألفاظ ذات الأصوات الرفافة تشد انتباه الأذن، وتلفت انتباه السامع على عكس مفردات أخرى، ينفر منها السمع، وتمجُّها الأذن لما فيها من قوة أو تكرار.

يقول ابن الأثير هناك كلمات إذا سمعتها تخيلت رجالاً قد ركبو خيولهم واستلوا سلاحهم، وألفاظ أخرى تتخيل عند سماعها كأنهن نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلّين بأصناف الحلي⁴³.

والمعيار الذي يفرق به ابن الأثير بين ارتفاع وانخفاض درجة تواتر كلمة أو مجموعة كلمات ما هو السمع، فما يستأذ السمع ويميل إليه فهو الحسن، وما ينفر عنه ويكرهه فهو النقيح.

وكراهة الأذان له وصعوبة النطق به يقللان من درجة استعماله، فمن المتكلمين من يأتي كلامه عذبا زُلالاً تستأنس به النفوس وتطمئن إليه الأفئدة، ويرتاح له البال فيتمكّن من نفس صاحبه، ويصنع فيه ما يصنعه الغيث الذافع في التربة الصالحة، يقول ابن الأثير: "تري أن السمع يستأذ صوت البلبل من الطير والشحور ويميل إليهما، ويكره صوت الغراب وينفر عنه"⁴⁴.

وقد يكثر استعمال كلمة دون غيرها من مفرداتها كلفظة المزنة والدّيمة والبُعاق الدّالة على صفة المطر، فالدّيمة والمزنة حسنها يستأذها السمع فيكثر استعمالها، ولفظة البُعاق لكرهاتها وقبحها يجفها السمع مع فيقل استعمالها⁴⁵.

وختاماً نقول إنه متى تمكّننا من توظيف آليات الاقتصاد اللغوي في اللغة العربية -على جميع مستوياتها- ونقصد بالآليات هنا السبل أو الوسائل الاقتصادية التي يمكن استخدامها أثناء عملية الاتصال كالحذف والمجاز والإيجاز والنحت، والإشارة والصمت، فإنه يمنحها القوة والبقاء والاستمرارية، لأنه من المعروف أن كل شيء أُنفق فيه فوق المطلوب، وبشكل دائم يكون عرضة للنفاذ والاندثار للغة حتى وإن كان يبدو أن بقاءها مرهون باستعمالها وتوظيفها، وذلك لا يعني الإسراف فيها لأنّها أكبرها من الكائنات الحية تتطور وتزدهر بحياة ناطقها، أو تموت وتندثر بموتهم أو فناءهم.

وهكذا تظهر أهمية الاقتصاد اللغوي بالنسبة للاتصال فيما يترتب عنه من آثار إيجابية عند المرسل والمرسل إليه، فعند التزامنا به نقلنا من الجهد الفكري والعقلي، ونربح الوقت وندخر نصيباً من المصاريف إلى وقت لاحق.

الهوامش:

- 1+ مثل السائر في آداب الكاتب والسائر، ابن الأثير (ت 637)، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ج 2، ص: 298.
- 2- المصدر نفسه، ج 2، ص: 299.

- 3- سورة فاطر، الآية: 32.
- 4- المثل السائر، ج2، ص: 299.
- 5- ديوان الأعشى، شرح وتقديم: محمدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1993، ص: 170.
- 6- ديوان الفرزدق، دار بيروت للطباعة، ج2، 1980، ص: 37.
- 7- المثل السائر، ج2، ص: 300.
- 8- سورة البقرة، الآية، 20.
- 9- سورة الجن، الآية: 19-
- 10 ديوان الفرزدق، ص: 57.
- *- أشار ابن القيم الجوزية (في كتابه إني مهاجر إلى ربي) إلى مفهوم الاقتصاد، وهو يتحدث عن الآية 32 من سورة فاطر "فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات"؛ قال: أما المقتصدون فأدوا وظيفة يومهم وليلتهم، ولم يزيدوا، ولا نقصوا منها، فلا حصلوا على أرباح التجار، ولا خسوا الحق الذي عليهم، والتجار هم السابقون بالخيرات، والذين بخسوا الحق الذي عليهم هم الظالمون لأنفسهم، والمقتصدون هم بين هاتين الفئتين وهذا المفهوم عنده ينحصر بين الإفراط والتفريط في كل شيء، ينفقه الإنسان بما في ذلك الكلام، "إني مهاجر إلى ربي، شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية، دار الشهاب باتنة، الجزائر، دون طبعة، ص: 82.
- 11 كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي بن علي بن إبراهيم العلوي البمني، مكتبة المعارف الرياض، ج2، ص 301 .
- 12-سورة المؤمنون، الآيات: 1، 2، 3، 4.
- 13-مسند الإمام الأحمـد: تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ، 1996م، ج11، ص: 49.
- 14-الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2: 1982، ص: 58 .
- 15-معجم المصطلحات الألسنية، مبارك المبارك، فرنسي-عربي+إنجليزي، ص: 92.
- 16-الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث الغوي وترقية اللغات، عبد الرحمن الحاج صالح، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2001م، الجزائر، أيام 10-12 شعبان 1421هـ الموافق لـ 6-8 نوفمبر 2000م، ص: 31، 30.

- 17- ينظر: دراسة المشتقات العربية وآثارها البلاغية في المعلقة العشر الجاهلية -دراسة إفرادية تحليلية- ابن عزوز زبدة المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص: 36.
- 18- الإمام القزويني في إيضاح البلاغة، يسمى الأسلوب الذي تساوت ألفاظه مع معانيه بالمساواة، ص: 281 وابن الأثير في المثل السائر يسميه بإيجاز التقدير.
- 19- لسان العرب ابن منظور، دار صادر بيروت، ط2000: 1 م، ج12، مادة قصد، ص113.
- 20- اللغة والاقتصاد، فلوريال كولماس، تر: أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، طبعة: 2000م، ص: 279.
- 21- الصناعتين الكتابة والشعر، أبوالهلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، لبنان، ط: 1406 هـ، 1986م، ص 190.
- 22- المثل السائر، ابن الأثير، ج2، ص: 74.
- 23- خزانة الأدب، مج2، ص: 491. وصبح الأعشى في صناعة الانشاء، ج2، ص: 361.
- 24- تنورة الرحمن، الآية: 72.
- ومن أمثلة المساواة في الشعر العربي هذه الأبيات التي أوردها -القزويني- في التخليص في علوم البلاغة: شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ص: 83.
- ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح بالأركان من هوماسح.
وشدت على دهم المطابا رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هورأخ.
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأياطح
- 25- شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلام الشذمري تحقيق، فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 28.
- 26- ديوان طرفة بن العبد، شرح وتقديم، مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1987م، ص: 29.
- 27- الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، فخر الدين قباوة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان 2001، ص: 40.
- 28- البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص: 135، 136.
- 29- علم اللغة في القرن العشرين، جورج موانان، ترجمة" د. نجيب غزاوي، سلسلة الكتب العلمية، مطابع مؤسسة الوحدة 1982م، ص: 169.

* فلوريال كولماس أستاذ علم اللغة العام بجامعة دوسل دورف، وعمل أستاذا لعلم اللغة التطبيقي بجامعة تشوبطوكيو، وأستاذ زائر لعلم اللغة بجامعة جورج ناون، من مؤلفاته المهمة "موسوعة أنظمة الكتابة".

30- اللغة والاقتصاد، فلوريال كولماس، ص: 279.

31-Dictionnaire de didactique des langues R/ galisson et D/eost p/174.

32-ينظر: مبادئ في اللسانيات العامة، مارتيني، ص: 154.

33-اللسانيات (النشأة والتطور)، أحمد مومن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ص: 155.

34-ينظر: مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتيني، ص: 151.

35-مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتيني، ص: 18.

36-مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت666هـ) مادة شهد، ص: 311.

37-مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتيني، ص: 18.

*-وحدة دنيا = حرف.

*-وحدة دنيا = حرف.

38-مبادئ في اللسانيات العامة، أندري مارتيني، ص: 19.

39-اللغة والاقتصاد، فلوريال كولماس، ص: 308.

40-ينظر: من أسرار العربية، إبراهيم أنيس: مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1978 م، ط: 06، ص: 155.

41-اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص: 32.

42-اللغة والاقتصاد، فلوريال كولماس، ص: 323.

43-نفس المصدر، ص: 56.

44-المثل السائر، ابن الأثير، ج1 ص: 181.

* غلائل: ج م غلالة- بالغين المعجمية- وهي شعار يلبس تحت الثوب.

** استلأوا: لبسوا الأمة- بفتح اللام وسكون الهمزة هي الدرع المحكمة المتلئة.

45-المصدر السابق، ج1، ص: 81.

46-نفسه، ص: 81.